قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

٦٤

ظواهر في الميزان

عيد الحبّ

شرعاً وعرفاً

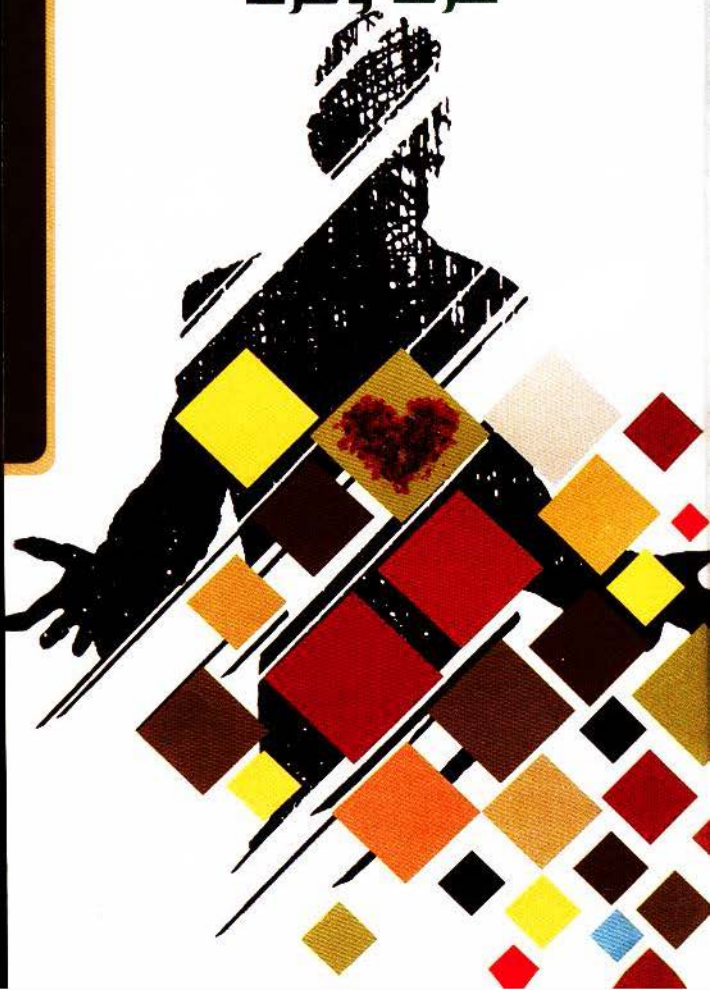

بسم الله الرحمن الرحيم

في حياتنا الاجتماعية جملة من العادات والتقاليد والطقوس، البعض منها ورثناه من آبائنا وأجدادنا، بما يمثل حالة مستمدة من الموروث الديني أو الاجتماعي الأصيل الذي يعيشه المجتمع، والبعض الآخر تسرب إلينا من بلاد أخرى غريبة علينا سواء من ناحية التدين، أو من ناحية العادات والتقاليد الاجتماعية، فما هو موقفنا تجاه هذه الأمور المستوردة؟

في الحقيقة الناس مقابل هذه العادات والتقاليد والطقوس لها ثلاث حالات:

الأولى: حالة الاقتباس: وهي الحالة التي يكون فيها تقبُّل الشيء بإرادة ووعي كاملين، ويكون على أساس الدليل والبرهان، وهذا هو الطريق العقلائي المقبول للأخذ من الآخرين.

الثانية: حالة التقليد: وهي الحالة التي يكون فيها تقبُّل الشيء من أحد ما بإرادة ووعي، ولكن من دون المطالبة بالدليل والبرهان، والتقليد بهذا يُعدّ أمرا قبيحا وغير مقبول إلا في الموارد التي ليست من اختصاص الإنسان وقدرته العلمية، كما في أغلب التخصصات العلمية في المجتمع كمرجع التقليد والطبيب والمهندس وغيرهم، لأنه ليس بإمكان الجميع الوصول للعلم بها وعلى هذا يعد التقليد خطأ في مجال الأمور العرفية والعادية التي يستطيع الإنسان استيعابها وتمييز الصالح عن الطالح وهذا من الأمور الواضحة عند العقلاء، ولذا كان القرآن الكريم يذمّ من يقلد الآخرين، ويأخذ دينه منهم بلا دليل وبرهان، وينتقد من لا يتقبل الدين المستند إلى التفكير المنطقي والعقلي لمجرد تقليد الآباء، بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ سورة الزخرف:٢٣.

الثالثة: حالة المحاكاة: وهي تشترك مع التقليد في الجانب السيء، ولكنها تزيد عليه في أنها لا تكون بوعي وإرادة، يعني: تقبل الشيء من أيٍّ كان بلا استدلال وبدون انتباه ولا التفات، كما هو واضح في سلوك الأطفال، وهي من نعم الله تعالى عليهم حتى يتمكن المربي من تربيتهم، ففي الحديث الشريف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه اللذان يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه» وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٥، ص١٢٥.

إلا أن المحاكاة من جانب آخر منمومة فهي ليست طريقا للإنسان العاقل، لا سيما المؤمن بدين سماوي متكامل كدين الإسلام الذي ضمن له كل مقومات السعادة في الدنيا والآخرة، وأخذ عليه العهد أن لا ينجرّ وراء السلوكيات المنحرفة والممارسات الباطلة التي يبتدعها المبتدعون أو يخترعها المضلون، التي تصد الإنسان عن دينه وتسخط ربه عليه.

ولكن مع الأسف الكثير من الناس يتبعون الآخرين محاكاة لهم في عاداتهم وأخلاقهم، وليس ذلك إلا لسبب واحد هو قلة الوعي الديني من جانب، وفقدان الإحساس بقيمة نفسه ومقدار الثقافة التي يحملها، من جانب آخر، فتراه يلهث وراء الآخرين ويقلّدهم بنوع من المحاكاة اللاشعورية في أتفه الأشياء، من التزيّي بزيّهم، والتخلّق بأخلاقهم، بل وتربية أبنائهم على ذلك من دون أن يسأل نفسه ولو مجرد سؤال بأن ما يفعله هل هو صحيح وفق الموازين الدينية التي يؤمن بها أو العادات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي تربّى عليها، فهو في الحقيقة ينسلخ من مجتمعه وقيمه وأخلاقه ودينه من حيث لا يشعر، وينحدر نحو الهاوية بدعاوى وتسويلات شيطانية تارة، أو تمويل أناس مضلين يريدون لهذا الدين ولمعتنقيه الضلال والانحلال والضعف تارة أخرى.

فأصبح الناس يقلّدون الغرب ويحاكونهم في طريقة الجلوس والنوم والمشية والأزياء والأسماء، ويعتقدون أن هذا من الثقافة والتطور، ولكن هذا في الحقيقة تشبه بالغرب، الذي لا يؤمن بديننا أو نبينا ومقدساتنا وأخلاقنا، وهو لون من ألوان الولاء لهم والكون معهم كما ورد عن نبينا الأكرم ﷺ ذلك بقوله: «مَن تشبّه بقوم فهو منهم» عوالي اللئالي ج١ ص١٦٥، فإذا تشبّه أحد بقوم في الاسم والتعامل والملابس فهو في الواقع منهم وليس من المسلمين فيما تشبّه به، فإذا أكل المسلم كلما يأكل الكافر من دون معرفة الحلال والحرام، وشرب كلما يشرب، وأصبح يغدو ويروح كغير المسلم، وتعلم آدابهم وسننهم، فهو يوم القيامة معهم، يعني: كما يذهب أولئك إلى جهنم فهو يذهب معهم.

فالعادات الجديدة الواردة لنا من الغير لابد من الانتباه إليها

ودراستها فإن كانت العادة لا تلتئم مع تعاليم الإسلام والآداب العامة فلا يصح أن نعمل بها، وإلا فلا مانع من الأخذ بها. وهنا يأتي دور الأسرة المصلحين ورجال الدين، فلابد من استشارتهم والأخذ بنصحهم وتوجيهاتهم فهم الذين جعلهم الإمام حجة علينا من قبله، كما كانوا هم عليهم السلام حجة الله علينا. ففي التوقيع الشريف الصادر عن الإمام الحجة عجل الله فرجه: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليكم» إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص ٤٨٤.

ومن الأشياء الجديدة الواردة إلينا من الغرب ما يسمى بـ(عيد الحب) فهل الاحتفال بهذا العيد مقبول شرعا وعرفا أو لا؟

ولابد قبل الإجابة على هذا التساؤل من نظرة فاحصة إلى أصل هذه الممارسة العالمية التي بدأت بالانتشار، لمعرفة منشأها وما ترمز إليه، فإن معرفة ذلك يعيننا كثيرا في تقييمه، ومعرفة مدى ملاءمته لنا.

أصل عيد الحب:

ذكرت الموسوعة الكاثوليكية، أنَّ القسيس (فالنتاين)، كان يعيش في أواخر القرن الثالث الميلادي، تحت حكم الإمبراطور الروماني (كلاوديس الثاني).

وقد قام الإمبراطور بسجن القسيس؛ لأنه خالف بعض أوامره، وفي السجن تعرّف على ابنةٍ لأحد حراس السجن، ووقع في غرامها وعشقها، وكانت تزوره ومعها وردة حمراء لإهدائها له. فلما رأى منه الإمبراطور ما رأى أمر بإعدامه، فعلم بذلك القسيس، فأراد أن يكون آخر عهده بعشيقته، حيث أرسل إليها بطاقة، مكتوباً عليها: (من المخلص فالنتاين) ثم أُعدِم في الرابع عشر من فبراير (شباط) سنة ٢٧٠م، ثم تطور الأمر بعد ذلك فذكرت الموسوعة أيضاً: أنه في إحدى القرى الأوروبية، يجتمع شباب القرية في منتصف فبراير من كل عام، ويكتبون أسماء بنات القرية في أوراق، ويجعلونها في صندوق، ثم يسحب كل شاب من هذا الصندوق ورقة، والتي يخرج اسمها على ورقته، تكون عشيقته طوال السنة، ويُرسل لها على الفور بطاقة مكتوباً عليها: (باسم الآلهة الأم، أرسل لك هذه البطاقة)، ثم

تجدّد الطريقة بنهاية منتصف فبراير في العام المقبل، وهكذا.

وبعد مدة من الزمن، قام القساوسة بتغيير العبارة إلى (باسم القسيس فالنتاين، أرسل لك هذه البطاقة) والظاهر من حادثة شباب القرية، أنهم فعلوا ذلك، تخليداً لذكرى القسيس فالنتاين، وعشيقته، وحباً للفاحشة والخنا.

وهذا العيد عندهم لا علاقة له بالأم ولا بالأب ولا الإخوة ولا الأبناء، بل حتى ولا علاقة له بالزوجة ولا حتى الخطيبة، بل مناسبة خاصة بالعلاقات غير الشرعية من الحب والغراميات والعشق المحرم، الذي يخالف القرآن الكريم وما جاء به النبي الأمين وآله الطاهرين (صلوات ربي عليهم أجمعين)، حيث يقوم الشباب والشابات في هذا اليوم بتبادل الورود ورسائل الحب وبطاقات التهنئة التي يشتمل بعضها على صورة لطفل بجناحين فوق مجسم لقلب، وُجِّه إليه سهمٌ، وهذا رمز (آلهة الحب عند الرومانيين المسمى كيوبيد). وغير ذلك مما يعد مظهرا من مظاهر الاحتفال بهذا اليوم.

والغربيون يحتفلون بهذا العيد بل ويجعلون من هذا اليوم فرصة سانحة لممارسة الجنس المحرم بشكل مبالغ فيه، حيث يعد هذا اليوم من المناسبات الجنسية المحاطة بهالفة من القداسة.

ولا ينبغي التغافل هنا عن نقطة مهمة، وهي أن الغرب أيضا - وقع من مدة طويلة - فريسة لمنظمات معينة تعمل من أجل تشويه عاداته وتقاليده، وإشاعة الفاحشة والفساد فيه عن طريق الأفكار الهدامة من قبيل الحرية والمساواة بين المرأة والرجل و... وما إلى ذلك من أفكار، وترويجها والتنظير لها عن طريق وسائل الإعلام، ونظرة فاحصة في البرامج التي تعرض في الدول الغربية كفيلة في التصديق بهذا الأمر، وبعد ذلك - للأسف- تسوّق إلينا هذه الأفكار على أنها مظهر من مظاهر التطور والعصرنة.

مظاهر هذا الاحتفال:

من مظاهر هذا الاحتفال، استخدام اللون الأحمر في مراسم الاحتفال، رمزاً للحب وإحياء لذكرى الوردة الحمراء التي أهدتها عشيقة القديس فالنتاين له، حيث نرى أزياءاً حمراء،

من ملابس أو أحذية أو حقائب أو زهور أو هدايا، فضلاً عن تبادل البطاقات الخاصة بالاحتفال، مكتوبا عليها عبارات فيها اعتزاز بالعيد، وتهنئة بالحب، ورغبة في العشق، وما من شأنه أن يبرز معاني الحب والبهجة والسرور، وليته وقف عند هذا الحد، لكنه - وبتسويل شيطاني واضح من قبل أتباعه - ينجر إلى إشاعة الفواحش المختلفة من مظاهر السفور والاختلاط المحرم ووضع الزينة وإقامة الحفلات الراقصة التي لا تخلو من منكرات أخرى و...فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فهذا اليوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرّومانسيّة والحب والغرام المحرم ولهذا يسميه بعض الناس بـ «عيد العُشاق».

كما أنّ الإحصائيات التي قامت بها الرّابطة التجاريّة لناشري بطاقات المعايدة في الولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى أنّ مليار بطاقة يتمّ تداولها في يوم عيد الحب في كافّة أنحاء العالم: ممّا يجعل عيد الحب يصنّف بالمرتبة الثّانية بالنسبة لعدد البطاقات الّتي يتم تداولها في العالم بعد عيد الميلاد.

واقعنا وعيد الحب:

سرت عادة الاحتفال بعيد الحب إلى أرجاء واسعة من العالم، وتناقلها الناس بدعم عالمي مشبوه جيلا بعد جيل حتى تمكنتْ من مجتمعات المسلمين والمسلمات، فمنهم من احتفل بها عامداً للإفساد..ومنهم من احتفل بها تقليداً، حتى طار بها الناس كل مطار.

فكيف سمح المسلمون بل حتى الشرفاء وإن لم يكن لهم دين أن يتسرب إلى عوائلهم أو أن يلقى رواجا بينهم رغم اشتماله على مظاهر الفسق والفجور التي لا تلتئم مع ديننا الإسلامي وعرفنا الاجتماعي المحافظ.

فإذا كان عيد الحب يدعو إلى الحب والمودة الخالصة **فهذا هو** ما يدعو إليه الإسلام فيقول تعالى: ﴿...رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾الحشر:١٠.

وعن رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتولي أولياء الله والتبري من أعداء الله» الكافي

ج٢ص١٢٦، وعنه ﷺ: «مَثَل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» كنز العمال: ٧٦٥، ٧٣٧

فلا مانع من تخصيص بعض الأيام للتركيز فيها على المحبة للآخرين مثل يوم الأم ويوم الأب تكشف عن إخلاصنا وحبنا لهم ونهدي لهم الهدايا لكن كل ذلك يكون بطرق ووسائل معقولة ومقبولة شرعا وعرفا.

ونفس الكلام نقوله في ما يسمى بـ(عيد الحب) فلماذا نحاكي الغرب ونأخذ منه الأشياء أخذ المسلمات من دون تفكير فيها والحال أننا أصحاب تراث أسلامي وحضارة وتاريخ عريق فلماذا لا نستبدل هذا اليوم وما يحصل فيه من الممارسات المنافية للشرع والعرف والأخلاق ونجعل يوما من أيام مناسباتنا العزيزة على الله وعلى قلوبنا باسم (يوم المودة) مثلا نعبر فيه عن حبّنا للآخرين ونتزاور ونتصافح ونتبادل فيه الهدايا بآليات صحيحة ومشروعة تنسجم مع تعاليم الاسلام، حتى نُظهر مقدار الإرث الحضاري الكبير الذي يكتنزه الإسلام حول المحبة والمودة للآخرين، فنكتب فيه ونؤلف حوله ونخرج الأفلام والمسلسلات عن عظمة هذا الدين الإلهي الخالد.

الآثار والأضرار المترتبة على المشاركة في عيد الحب:

تتجلى الآثار والأضرار الناشئة عن المشاركة في هذه المناسبة بأمور؛ منها:

١- إن ما يفعله الكفار في أعيادهم واحتفالاتهم، منه ما هو كفر، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو مباح، والتمييز بين هذا وذاك، قد يخفى على الكثير، وهذا مؤداه أن يتساهل عامة المسلمين بأمور صريحة في كفر، أو ما دونها من الموبقات.

٢- إن مشاركة الكفار في أعيادهم واحتفالاتهم والتشبه بهم في ذلك، يُؤدي بالمسلمين المُتشبهين بهم والمشاركين لهم إلى اكتساب أخلاقهم المذمومة، بل وقد يشاركونهم في اعتقاداتهم وانحرافاتهم؛ إذ أنَّ المشاركة في الظاهر تستدعي المشاركة في الباطن ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الروم:١٠.

٣. إنَّ مشاركة الكفار ومشابهتهم في مناسباتهم، تُورث نوعاً من مودتهم ومحبتهم وموالاتهم، وقد تقرّر أن محبة الكفار وموالاتهم تنافي الإيمان، كما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، قال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ سورة آل عمران: ٢٨.

٤. إنَّ الاحتفال بأعياد الكفار، تُوجب سرور الكفار بما هم عليه من الباطل، وذلك إذا رأوا المسلمين تابعين لهم في طريقتهم، وهذا ظاهر في قوة قلوبهم وانشراح صدورهم، وطمعهم في المسلمين ونهب خيراتهم واستذلالهم، وقد فعلوا.

٥. أنَّ مشاركة الكفار فرحتهم، ولو بشيء قليل مثل تقديم الهدية أو الحلوى أو نحوها، يقود لفعل الكثير في المستقبل وفي شتى مناحي الحياة مع الكفار حتى يصير عادة لهم، ويتتابع عليه الناس، حتى يرتفع الكفر وأهله، وتُعظَّم مناسباتهم بغير نكير؛ فالأمر جدّ خطير.

٦. تعطيل أعياد المسلمين؛ فالنفس تأخذ حظها من اللعب واللهو في تلك الأعياد المحرَّمة؛ فإذا ما جاء العيد الحقيقي للمسلمين، فَتَرتْ النفوس عن الرغبة في عيد الله، وزال ما كان عنده له من المحبة والتعظيم.

٧. إنَّ من مقاصد عيد الحب، إشاعة المحبة بين الناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، وهذا يخالف دين الإسلام، بل يصادم أصلاً من أصوله وهو الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين.

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186